البلاغة [1]

علم البديع

بقلم:
المرجع الديني الراحل
السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا موجز في (البلاغة ــ علم البديع) تأليف محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي، أسأله تعالى أن يوفقني للإتمام، وينفع بها الطلاب، ويتقبلها بقبول حسن.

كربلاء المقدّسة

١٣٧٩هـ

[1] ملاحظة: أخذنا هذا الملف من الانترنيت ولابد من مطابقته لأصل الكتاب للتأكد من سلامته، حيث من المحتمل حصول بعض التقديم والتأخير والتغيير في الملف الالكتروني.

علم البديع

مقدمة في تعريف علم البديع

في المحسنات المعنوية

في المحسنات اللفظية

مقدمة في تعريف علم البديع

(البديع) لغة: هو من بَدَع وأبدع، أي: أوجده لا على مثال سابق.

واصطلاحاً: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام.

والمحسنات على قسمين:

١ ـــ معنوية.

٢ ـــ لفظية.

ولنذكرهما في فصلين:

الفصل الأول: المحسنات المعنوية.

الفصل الثاني: المحسنات اللّفظية.

الفصل الأول

المحسنات المعنوية

التورية

التورية، وتسمّى إيهاماً وتخييلاً أيضاً، وهي أن يكون للّفظ معنيان: قريب وبعيد، فيذكره المتكلّم ويريد به المعنى البعيد، الذي هو خلاف الظاهر، ويأتي بقرينة لا يفهمها السامع غير الفطن، فيتوهّم انّه أراد المعنى القريب، نحو قوله تعالى: (وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنهار)(١) أراد من (جرحتم): ارتكاب الذنوب، وكقوله:

أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعوق ومن العجائب لفظها حرّ ومعناها رقيق

فللرقيق معنيان: قريب وهو العبد. وبعيد: وهو من الرقة، والشاعر أراد الثاني، لكن الظاهر من مقابلته للحرّ إرادة العبد.

الاستخدام

الاستخدام: وهو أن يكون للّفظ معنيان فيطلقه المتكلّم ويريد به أحد المعنيين، ثم يذكر ضميره ويريد به المعنى الآخر، نحو قوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)(٢) أراد بالشهر أوّلاً: الهلال، ثمّ أعاد الضمير عليه وهو يريد أيّام الشهر المبارك، وكقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء: المطر، وبضميره في (رعيناه) النبات.

الاستطراد

الاستطراد: وهو أن يشرع المتكلّم في موضوع، ثم يخرج منه قبل تمامه إلى موضوع آخر، ثم يرجع إلى موضوعه الأول، كقوله:

وإنّا لقوم لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

أراد مدح قومه، ثم خرج قبل تمام كلامه إلى ذم عامر وسلول، ثم رجع في الشطر الثالث إلى ما بدأ به في الشطر الأول.

الافتنان

الافتنان: وهو الجمع بين فنّين من الكلام، كالمدح والذم، والتهنئة والتعزية، والغَزَل والحماسة، وأمثالها، كقوله: (عينه كالذئب لكن سنّه كالاقحوان...).

وقوله: (فقلبي ضاحك والعين تبكي...).

وقوله:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

الطباق

الطباق: ويسمّى بالمطابقة وبالتطبيق وبالتطابق وبالتكافؤ وبالتضاد أيضاً، وهو: الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، ويكون على قسمين:

١ ــ طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه اللّفظان المتقابلان إيجاباً وسلباً، نحو قوله تعالى: (وانّه هو أضحك وأبكي)(٣) وقوله سبحانه: (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء)(٤).

٢ ــ طباق السلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان المتقابلان إيجاباً وسلباً فمثبت مرّة ومنفي أُخرى، نحو قوله تعالى: (فلا تخشون الناس واخشون)(٥) وقوله سبحانه: (هل يستوي الّذي يعلمون والّذين لا يعلمون)(٦).

المقابلة

المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بمقابلها على الترتيب، قال تعالى: (فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنُيسِّرُهُ لليُسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى)(٧) ونحو قوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفرَ والإفلاس بالرجل

مراعاة النظير

مراعاة النظير: وتسمّى بالتوافق والائتلاف والتناسب أيضاً وهو: الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، كقوله تعالى: (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانو مهتدين)(٨).

ومنها: ما بني على المناسبة في (المعنى) وذلك بأن يختم الكلام بما بدأ به من حيث المعنى، كقوله تعالى: (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير)(٩). فاللطيف يناسب عدم ادراك الابصار، والخبير يناسب ادراكه للأبصار.

ومنها: ما بني على المناسبة في (اللفظ) وذلك بأن يؤتى بلفظ يناسب معناه أحد الطرفين ولفظه الطرف الآخر، كقوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان)(١٠) فالنجم لفظه يناسب الشمس والقمر، ومعناه – وهو النبات الذي لا ساق له ـــ يناسب الشجر.

الإرصاد

الإرصاد، ويسمّى التسهيم أيضاً وهو: أن يذكر قبل تمام الكلام – شعراً كان أو نثرا ـــ ما يدل عليه إذا عُرف الرويّ، كقوله تعالى: (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)(١١) فإنّ (يظلمون) معلوم من السياق، وكقول الشاعر:

أحلّت دمي من غير جرم وحرّمت بلا سبب عند اللقاء كلامي
فليس الذي حلّلته بمحلّل وليس الذي حرَّمته بحرام

فإن (بحرام) معلوم من السياق.

أو يدل عليه بلا حاجة إلى معرفة الرويّ، نحو قوله تعالى: (ولكلّ أمّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(١٢).

الإدماج

الإدماج: وهو أن يدمج في كلام سيق لمعنى، معنى آخر غير مصرّح به، كقوله:

وليل طويل لم أنم فيه لحظة أعد ذنوب الدهر وهو مديد

فإنه أدمج تعداد ذنوب الدهر بين ما قصده من طول الليل.

المذهب الكلامي

المذهب الكلامي: وهو أن يؤتى لصحة الكلام بدليل مسلّم عند المخاطب، وذلك بترتيب المقدمات المستلزمات للمطلوب كقوله تعالى: (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم)(١٣) فإن المسلّم عند منكر البعث ان اعادة الموتى أهون من خلق السماوات والارض، ولذا جعله تعالى دليلاً على البعث.

حسن التعليل

حسن التعليل: وهو أن يأتي البليغ بعلة طريفة لمعلول علّته شيء آخر، كقوله:

ما به قتلُ أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئابُ

فإنه أنكر كون قتل أعاديه للغلبة وقطع جذور الفساد، وادعى له سبباً آخر، وهو: أن لا يخلف رجاء الذئاب التي تطمع في شبع بطونها.

التجريد

التجريد: وهو أن ينتزع المتكلّم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، وذلك لأجل المبالغة في كمالها في ذي الصفة المنتزع منه، حتى كأنه قد صار منها، بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر، وهو على أقسام:

١ ــ أن يكون بواسطة (الباء التجريدية) نحو: (شربت بمائها عسلاً مصفّى...). فكأن حلاوة ماء تلك العين الموصوفة وصلت إلى حدّ يمكن انتزاع العسل منها حين الشرب.

٢ ــ أن يكون بواسطة (من التجريدية) كقوله:

لي منك أعداء ومنه أحبة تــالله أيّكما إلــيّ حبيب

فكأنه بلغ المخاطب إلى حدّ من العداوة يمكن أن ينتزع منه أعداء، وكذلك بلغ غيره من المحبّة بحيث ينتزع منه أحبة.

٣ ــ أن لا يكون بواسطة، كقوله: (وسألت بحراً إذ سألته) جرّد منه بحراً من العلم، حتى أنه سأل البحر المنتزع منه إذ سأله.

٤ ــ أن يكون بطريق الكناية، كقوله: (... ولا يشرب كأساً بكف من بخلا) أي: أنه يشربها بكفّ الجواد، جرّد منه جواداً يشرب هو بكفّه، وحيث أنّه لا يشرب إلاّ بكف نفسه، فهو إذن ذلك الكريم.

٥ ــ أن يكون المخاطب هو نفسه، كقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فإنّه انتزع وجرّد من نفسه شخصاً آخر وخاطبه فسمي لذلك تجريداً، وهو كثير في كلام الشعراء.

المشاكلة

المشاكلة: وهي أن يستعير المتكلّم لشيء لفظاً لايصح اطلاقه على المستعار له إلاّ مجازاً، وانما يستعير له هذا اللفظ لوقوعه في سياق ما يصح له، كما في الدعاء: (غيِّر سوء حالنا بحسن حالك)(١٤) فإن الله تعالى لا حال له، وانما استعير له الحال بمناسبة سياق (حالنا) وكقوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)(١٥) فإن الله تعالى لا نفس له، وإنما عبّر بها للمشاكلة، وكقوله:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً

أي: خيّطوا لي جبّة وقميصاً، فأبدل الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعها في سياق طبخ الطعام.

المزاوجة

المزاوج: وهي المشابهة وذلك بأن يزاوج المتكلّم ويشابه بين أمرين في الشرط والجزاء، فيرتب على كل منهما مثل ما رتب على الآخر، كقوله:

إذا قال قولاً فأكّد فيه تجانبت عنه وأكّدت فيه

رتب التأكيد على كل من قول المتكلّم وتجانب السامع.

الطي والنشر

الطي والنشر، ويسمّى اللّف والنشر أيضاً، وهو: أن يذكر أموراً متعددة، ثم يذكر ما لكل واحد منها من الصفات المسوق لها الكلام، من غير تعيين، اعتماداً على ذهن السامع في إرجاع كل صفة إلى موصوفها، وهو على قسمين:

١ ــ أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي، ويسمّى باللّف والنشر المرتّب كقوله:

آرائهم ووجوهم وسيوفهم في الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم

فالآراء معالم للهدى، والوجوه مصابح للدجى، والسيوف رجوم.

٢ ــ أن يكون النشر فيه على خلاف ترتيب الطي، ويسمّى باللّف والنشر المشوّش، نحو قوله تعالى: (فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السنين والحساب)(١٦) فابتغاء الفضل في النهار وهو الثاني، والعلم بالحساب لوجود القمر في اللّيل وهو الأول، فكان على خلاف الترتيب.

الجمع

الجمع: وهو أن يجمع المتكلّم بين أمرين أو أكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)(١٧) وقوله سبحانه: (إنَّما الخمرُ والميسرُ ولأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه)(١٨)، وكقوله:

انّ الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أيَّ مفسدة

التفريق

التفريق: وهو أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في الحكم، كقوله تعالى: (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أُجاج)(١٩).

التقسيم

التقسيم: وهو أن يأتي بمتعدّد ثم يحكم على كل واحد منها بحكم، كقوله تعالى: (كذَّبتْ ثمود وعاد بالقارعة فأمّا ثمود فأُهلكوا بالطاغية وأما عاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية)(٢٠).

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

١ ــ على استيفاء أقسام الشيء، كقوله تعالى: (يهب لمن يشاء أُناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً)(٢١) فإنّ الامر لا يخلو من هذه الاقسام الأربعة.

٢ ــ على استيفاء خصوصيات حال الشيء، كقوله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)(٢٢).

الجمع والتفريق

الجمع والتفريق وهو أن يجمع بين أمرين في شيء واحد، ثم يفرق بينهما في ما يختص بكل واحد منهما، كقوله:

قلب الحبيب وصخر الصم من حجر　　لكــن ذا نابع والقلــب مغلوف

الجمع والتقسيم

الجمع والتقسيم: وهو أن يجمع بين متعّدد ثم يقسّم ما جمع، أو يقسم أولاً ثم يجمــع، فــالأول كقوله:

حتى أقــام على أرباض خرشنة　　تشقى به الروم والصلبان والــبيع

للرق مــا نسلوا والقتل ما ولدوا　　والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

والثاني كقوله:

قوم إذا حــاربوا ضروا عدوهم　　أو حاولوا النفع في أشياعهم نفــعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة　　انّ الخلائق فاعلم شرّها الــبدعُ

الجمع مع التفريق والتقسيم

الجمع مع التفريق والتقسيم: وهو أن يجمع بين أمرين في شيء واحد ثمّ يفرّق بينهما بما يخصّ كلّ منهما ثمّ يقسّم ما جمع، نحو قوله تعالى: (يوم يأتي لاتكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقيّ وسعيد، فأمّــا

الّذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلاّ ما شـــاء ربّك انّ ربك فعّال لما يريد، وأمّا الّذين سُعدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلاّ ما شاء ربّك عطاءً غير مجذوذ)(٢٣) جمع الأنفس في عدم التكلّم ثمّ فرّق بينها بأن بعضها شـــقيّ وبعضها سعيد، ثم قسّم الشقي والسعيد إلى ما لهم هناك في الآخرة من الثواب والعقاب.

المبالغة

المبالغة: وهي الإفراط في الشيء، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ــ التبليغ، وهو أن يكون الإدعاء ممكناً عقلاً وعادة، كقوله:

جـــاء رجـــال البلد مليكمـــهم كـــالفرقـــد

فإن مجيْ جميع رجال البلد ممكن عقلاً وعادة.

أباد عسكرنا ما دب أو درجـــا في أرض نجد وما فرد لهم برجا

فإن الإبادة ممكنة عقلاً، مستحيلة عادة.

٢ ــ الغلو، وهو أن يكون الإدعاء مستحيلاً عقلاً وعادة، كقول الغالي:

ان الوصي هـــو الإله وأنما آياته احياء عظم رميم

فإن الوهية علي (عليه السلام) مستحيلة عقلاً وعادة.

المغايرة

المغايرة: وهي ــ أن، يمدح المتكلّم شيئاً ثم يذمّه، أو بالعكس، كقوله:

جـــزى الله الحوادث منجيات وأخـــزاها حوادث مـــاحقات

فإن الحادثة قد ترفع الشخص وقد تضعه.

تأكيد المدح

تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، وهو على ثلاثة أقسام:

١ ــ أن يأتي بمستثـــنـــى فيه معنى المدح معمولاً لفعل فيـــه معنى الذمّ، نحو قوله تعالى: (ومـــا تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بأيات ربنا)(٢٤).

٢ ــ أن يستثني صفة مدح من صفة ذمّ منفية عن الشيء، نحو قوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قـــراع الكـــتائب

٣ ــ أن يثبت صفة مدح لشيء ثمّ يأتي بعدها بأداة استثناء أو استدراك يعقبها بصـــفة مـــدح أُخرى، نحو قوله:

فتى كملت أوصـــافه غيـــر أنّه جواد فما يبقى من المال باقياً

ونحو قوله في مثال الإستدراك:

وجوه كاظهار الـــرياض نضارة ولكنها يوم الهيـــاج صخور

تأكيد الذمّ

تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو على قسمين:

١ ــ أن يثبت صفة ذمّ لشيء ثمّ يأتي بعدها بأداة استثناء أو استدراك يعقبها بصـــفة ذمّ أُخـــرى كقوله: (كله ذم سوى أنّ محياه قبيح(.

٢ ــ أن يستثني صفة ذمّ من صفة مدح منفية عن الشيء، كقوله:

خلا من الفضل غـــير أنّي أراه فـــي الحُمـــق لا يجارى

التوجيه

التوجيه: وهو أن يؤتى بكلام يحتمل أمرين متضادين كالذمّ والمدح، والدعاء له وعليه، كقوله – في خيّاط اسمه عمرو، وكان أعور –:

خاط لي عمرو قباءاً لـــيت عينيه ســـواء

قلت شعراً ليس يدري أمـــديح أم هجاء

والفرق بين التوجيه والتورية: أن التورية لا تكون إلا فيما له معنيان بأصـــل الوضـــع، بخـــلاف التوجيه.

نفي الشيء بإيجابه

نفي الشيء بإيجابه: وهو أن ينفي شيئاً عن شخص فيوهم إثباته له في الجملة، نحو قوله تعـــالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)(٢٥).

وكقوله للخليفة:

لم يُشغَلَنْك عن الجهاد مكاسب ترجو ولا لهو ولا أولاد

فإنه يوهم إشغال المكسب له في الجملة – كما في الأولاد – مع أنه لا كسب للخليفة.

القول بالموجب

القول بالموجب: وهو أن يحمل كلام الغير على خلاف مراده، كقوله:

وقالوا قد صفت مـــنّا قلوب لـــقد صدقوا ولكن عن ودادي

فإنهم أرادوا الخلوص له، فحمله الشاعر على الخلوّ من وداده.

ائتلاف اللّفظ والمعنى

ائتلاف اللفظ والمعنى: وهو أن يُختار للمعنى المقصود ألفاظ تؤديه بكمال الوضوح، كقوله ـــ في الذمّ ـــ:

ولو أن برغوثاً على ظهر قملـــة تـــكرّ علـــى صفيّ تميم لـــولّت

وكقوله في المدح:

اذا مـــا غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

التفريع

التفريع: وهو جعل الشيء فرعاً لغيره وذلك بأن يُثبت لمتعلّق أمر حكماً بعد أن يُشتبه لمتعلّق آخر على نحو يُشعر بالتفريع، كقوله:

طبّه ينفي المرض فقهه ينفي البدع

فله الله طبيباً وفقيهاً متّبع

الإستتباع

الاستتباع: وهو الوصف بأمر على وجه يستتبع الوصف بأمر آخر، مدحاً أو ذماً، مدحاً كقوله:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه فـــكأنما ألفاظه مـــن ماله

وذمّاً، كقوله ـــ في قاضٍ ردّ شهادته برؤية هلال شوال ـــ:

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامـــى

سرق العيـــد كأنّ الـــ عـــيد أموال اليتامى

السلب والإيجاب

السلب والإيجاب: وهو أن يسلب صفة مدح أو ذم عن الجميع ليثبتها لمن قصد، فالمدح كقوله:

كـــل شخص لقـــيت فيه هنـــات غـــير سلمى فخلقها من فضائل

والذم، كقوله: (لا أرى في واحد ما فيه من جمع الرذائل).

ويسمّى السلب والإيجاب: الرجوع أيضاً بمعنى العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة، كقوله:

وما ضاع شعري عندكم حين قلته بلى وأبيكم ضـــاع فهو يضوع

الإبداع

الإبداع: وهو أن يكون الكلام مشتملاً على جملة من المحسنات البديعية، كقوله تعالى: (وقيل يا أرض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقُضي الامر واستوت على الجوديّ وقيل بُعداً للقـــوم الظالمين)(٢٦).

قيل: أنّه يوجد في هذه الآية الكريمة اثنان وعشرون نوعاً من أنواع البـــديع اشـــيرها إليهـــا في المفصّلات.

وكقوله:

فضحتَ الحيا والبحر جوداً فقد بكى الـــ حيا مـــن حـــياء منك والتطم البحر

الأسلوب الحكيم

الأسلوب الحكيم: وهو اجابة المخاطب بغير ما سأل، تنبيهاً على كون الاليق هو السؤال عمّـــا وقع عنه الجواب، كقوله تعالى: (يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحجّ)(٢٧) فإنهم لّمـــا لم يكونوا يدركون سبب اختلاف أشكال الهلال، اجيبوا بما ينبغي السؤال عنه، وهو فائدة اخـــتلاف الأهلّة.

وكقوله:

قـــلت: ثقلتُ إذ أتيتُ مـــراراً قـــال: ثقّلتَ كـــاهلي بالأيادي

قلت: طوّلتُ، قال أوليتَ طَولاً قلت: أبرمتُ، قال: حبل ودادي

تشابه الأطراف

تشابه الأطراف: وهو أن يكون بدء الكلام وختامه متشابهين لفظاً أو معنى:

الأول: وهو التشابه في اللفظ كقوله تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكبٌ درّيّ)(٢٨).

الثاني: وهو التشابه في المعنى كقوله:

سم زعاف قـــولـــه وفعاله عند البصير كمثل طعم العلقم

فإن العلقم يناسب السمّ في المذاق.

العكس

العكس: وهو أن يكون الكلام المشتمل على جزئين أو أكثر، في فقرتين، فيقدم ما أخّره في الفترة الأولى، ويؤخّر ما قدّمه، كقوله تعالى: (لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ)(٢٩) وكقوله:

في هواكم يا سادتي متُّ وجداً مـــتُّ وَجداً يا سادتي في هـــواكمُ

الهزل

الهزل: وهو أن يأتي بهزل يراد به الجدّ، كقوله:

إذا ما جاهلي أتاك مـــفاخراً فقل: عَدّ عن ذا كيف أكلك العنب

الاطراد

الاطراد: وهو أن يأتي باسم من يقصده واسم آبائه على ترتيب تسلسلهم في الولادة بلا تكلّـــف في السبك، كقوله:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بـــن شهاب

ومنه قوله (صـــلى الله عليه وآله): الكريم ابن الـــكريـــم ابن الكريم ابن الكريم: يوســـف بـــن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم(٣٠).

تجاهل العارف

تجاهل العارف: وهو أن يرى المتكلّم نفسه جاهلاً، مع أنه عالم، وذلك لنكتة كقولـــه: (أمـــترل الأحباب ما لك موحشاً ...)؟

أما إذا وقع مثل ذلك في كلام الله سبحانه، كقوله تعالى: (وما تلك بيمينك يا موســـى)(٣١) أو في كلام أوليائه، فلا يسمّى بتجاهل العارف، بل يسمّى حينئذ: إيراد الكلام في صـــورة الاســـتفهام لغاية.

١ ــ سورة الأنعام: ٦٠,

٢ ــ البقرة: ١٨٥,

٣ ــ النجم: ٤٣,

٤ ــ آل عمران: ٢٦,

٥ ــ المائدة: ٤٤,

٦ ــ الزمر: ٩,

٧ ــ الليل: ٥ ــ ١٠,

٨ ــ البقرة: ١٦,

٩ ــ الانعام: ١٠٣,

١٠ ــ الرحمن: ٥ ــ ٦,

١١ ــ العنكبوت: ٤٠,

١٢ ــ الأعراف: ٣٤,

١٣ ــ يس: ٨١,

١٤ ــ مستدرك الوسائل: ٤٤٨/٧ ب ١٤ ح ٨٦٢٣,

١٥ ــ المائدة: ١١٦,

١٦ ــ الإسراء: ١٢,

١٧ ــ الكهف: ٤٦,

١٨ ــ المائدة: ١٢,

١٩ ــ فاطر: ١٢,

٢٠ ــ الحاقة: ٤ ــ ٦,

٢١ ــ الشورى: ٤٩ ــ ٥٠,

٢٢ ــ المائدة: ٥٤,

٢٣ ــ هود: ١٠٥ ــ ١٠٨,

٢٤ ــ الأعراف: ١٢٦,

٢٥ ــ النور: ٣٧,

٢٦ ــ هود: ٤٤,

٢٧ ــ البقرة: ١٨٩,

٢٨ ــ النور: ٣٥,

٢٩ ــ الممتحنة: ١٠,

٣٠ ــ بحار الأنوار: ٢١٨/١٢ ب ٩ ح ١,

٣١ ــ طه: ١٧.

الفصل الثاني
في المحسنات اللفظية

الجناس

الجناس: وهو تشابه لفظين، مع اختلافهما في المعنى، وهو قسمان:

١ ــ لفظي.

٢ ــ معنوي.

أقسام الجناس اللفظي

الجناس اللفظي على أقسام:

١ ــ الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة:

نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى، كقوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)(١) فالمراد بالساعة الأولى: يوم القيامة، وبالساعة الثانية: جزء من الزمان.

٢ ــ الجناس غير التام: وهو ما اختلف اللفظان في أحد الأمور الأربعة المذكورة (النوع والعدد والهيئة والترتيب).

فالاختلاف في عدد الحرف، نحو: (دوام الحال محال).

وفي نوعه: كقوله تعالى: (ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)(٢).

وفي هيئته: نحو: (الجَدّ في الجِدّ والحرمان في الكسل).

وفي ترتيبه: نحو: (رحم الله من فكّ كفّه وكفّ فكّه).

٣ ــ الجناس المطلق: وهو توافق اللفظين في الحروف وترتيبها، بدون أن يجمعهما اشتقاق، نحو: (غِفار، غفر الله لها).

وإن جمعهما اشتقاق سمي جناس الاشتقاق، نحو قوله تعالى: (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد)(٣).

٤ ــ الجناس المذيّل: وهو ما يكون الاختلاف بأكثر من حرفين في آخره، كقوله:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

٥ ــ الجناس المطرّف: وهو ما يكون الاختلاف بزيادة حرفين في أوله، كقوله:

وكم غرر مـــن برّه ولطائف لشكري على تلك اللطائف طائف

٦ ــ الجناس المضارع: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حرفين، مع قرب مخرجهما، كقولـــه تعالى: (وهم ينهون عنه وينئون عنه)(٤).

٧ ــ الجناس اللاحق: وهو ما يكون باختلاف اللفظين في حرفين، مع بعد مخرجهمـــا، كقولـــه تعالى: (ويل لكلّ هُمَزةٍ لُمَزةٍ)(٥).

٨ ــ الجناس التلفّظي: وهو ما اختلف ركناه خطاً مع اتحادهما في التلفّظ، كقوله:

اعذب خـــلق الله نطقاً وفمـــاً إن لم يـــكن أحق بالحُسن فمن

فالاول تنوين، والثاني نون.

٩ ــ الجناس المحرّف: وهو ما اختلف اللفظان في هيئات الحروف من حيث الحركـــات، نحـــو: (جُبة البُرد جُنّة البَرد).

١٠ ــ الجناس المصحّف: وهو ما اختلف اللّفظان من حيث التنقيط، بحيث لو زالت الـــنُقَط لم يتميّز أحدهما عن الآخر، ككتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: (غَرّك عزُّك فَصار قصار ذلك ذُلّك، فاحش فاحش فعلك، فعلّك تهدى بهذي)(٦).

١١ ــ الجناس المركّب: وهو ما اختلف اللفظان من حيث التركيب والإفراد، كقوله:

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

فالأول مركب بمعنى: صاحب هبة، والثاني: مفرد وهو اسم الفاعل:

١٢ ــ الجناس الملفّق: وهو ما كان اللّفظان كلاهما مركّباً، كقوله:

فلم تضع الأعادي قدر شأني ولا قالوا فلان قد رشاني

الأول: مركّب من (قدر) ومن (شأني) والثاني: مركّب من (قد) ومن (رشاني).

١٣ ــ جناس القلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: (رحـــم الله امـــرئً مسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفيّه).

١٤ ــ الجناس المستوى: وهو من جناس القلب، ويسمّى أيضاً: (مالا يستحيل بالإنعكاس) وهو ما لا يختلف لو قرئ من حرفه الأخير إلى الأوّل معكوساً ومقلوباً، وإنّما يحصل بـــعـــينـــــه، نحـــو قوله تعالى: (كلّ في فلك)(٧) وقوله سبحانه: (ربّك فكبّر)(٨) فإنّه ينعكس بعينه، ونحو قوله:

مودّته تدوم لكلّ هولٍ وهل كـــلٌ مودّته تدوم

وكذا قوله: (أرانا الإله هلالاً أناراً).

أقسام الجناس المعنوي

الجناس المعنوي قسمان:

١ ــ جناس الإضمار: وهو أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر، واللفظ الآخر يُراد به غير معناه بدلالة السياق، كقوله:

فهو إذا رأته عين الرائي أبو معاذ أو أخو الخنساء

فإن المراد بأبي معاذ: (جبل) وبأخ الخنساء: (صخر) وليس بمراد، وانما المراد: ذم المقصود بأنه كالصخر.

٢ ــ جناس الإشارة: وهو ما ذكر فيه أحد اللفظين وأشير للآخر بما يدلّ عليه، كقوله:

يا حمزة اسمح بوصل وامنن علينا بقرب

في ثغرك اسمك أضحى مصحّفاً وبقلبي

أراد (الخمرة) و(الجمرة) إذ هما مصحفا حمزة.

التصحيف

التصحيف: وهو التشابه بين كلمتين أو أكثر خطّاً، والفارق النقط، كـ(التحلّي) و(التخلّي) و(التجلي).

الازدواج

الازدواج: وهو تجانس اللفظين المجاورين، نحو: (من لجّ ولج) و(من جدّ وجد).

السجع

السجع: هو توافق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير- والفاصلة في النثر كالقافية في الشعر- وموطن السجع النثر، وأحسنه ما تساوت فقراته، كقوله تعالى: (في سدر مخضود وطلح منضود وظلّ ممدود)(٩) وإن لم تتساو فقراته فالأحسن ما طالت فقرته الثانية نحو قوله تعالى: (والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى)(١٠) أو طالت فقرته الثالثة، نحو قوله تعالى: (خذوه فغلّوه، ثمّ الجحيم صلّوه، ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)(١١) ولا يحسن العكس بأن تطول الفقرة الاولى دون الثانية، أو الثانية دون الثالثة، لأن السامع ينتظر بقيتها، فإذا انقطع كان كالمبتور.

التشطير

التشطير: وهو جعل كل من شطري البيت مسجوعاً سجعة مخالفة للسجعة الّتي في الشطر الآخر، وهذا يكون على القول بعد اختصاص السجع بالنثر، كقوله:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب في الله مرتقب

فالشطر الأوّل سجعته مبنيّة على الميم والثاني على الباء.

الموازنة

الموازنة: وهي تساوي الفاصلتين في الوزن فقط لا في التقفية، نحو قوله تعالى: (ونمارق مصفوقة، وزرابيّ مبثوثة)(١٢) فإن كلمة (مصفوفة) متفقة مع كلمة (مبثوثة) في الوزن، لا في التقفية.

الترصيع

الترصيع: وهو توازن الألفاظ مع توافق الاعجاز، أو تقاربها، ومثال التوافق قوله تعالى: (إنّ الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي جحيم)(١٣).

ومثال التقارب قوله تعالى: (وآتيناهما الكتاب المستبين، وهديناهما الصراط المستقيم)(١٤).

التشريع

التشريع: ويسمّى (التوشيح) و(ذا القافيتين) أيضاً، وهو بناء البيت على قافيتين أو أكثر، يصح الوقوف على كلّ واحد منها، كقوله:

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الأكدار

دار إذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً تبّاً لها من دار

فيصح الوقوف على (الردى) و)غدا) فتنقلب الأبيات من (بحر الكامل) وتكون من (مجزوء الكامل) وتقرأ هكذا:

ياخاطب النيا الدنـ ـيّة انها شَرَك الردى

دار إذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً

لزوم ما لا لزم

لزوم ما لايلزم: ويسمّى الالزام والتضمين والتشديد والإعنات أيضاً، وهو أن يجيء قبل حرف الرويّ – في فاصلتين وأكثر أو بيتين وأكثر – بحرف لا يتوقّف السجع عليه، كقوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر)(١٥).

وكقوله:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العَطَل

فالراء في الآية واللام في الشعر، حروف الروي، وقد جيء قبل الراء بالهاء وقبل اللام بالطاء، وهو غير لازم لتحقّق السجع بدون ذلك.

ردّ العجز على الصدر

ردّ العجز على الصدر: وهو أن يعاد ما بدأ به الأخير، كقوله تعالى: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)(١٦).

وقوله:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

ما لا يستحيل بالانعكاس

مالا يستحيل بالانعكاس، ويسمّى: القلب المستوي كما مرّ في جناس القلب، وهو: أن يقرأ عكساً كما يقرأ طرداً: (دام علاء العماد). ونحو: (كن كما أمكنك) فإنه إذا قرئ عكساً من الأخير إلى الأوّل كان أيضاً: (دام علاء العماد) و(كن كما أمكنك).

المواربة

المواربة: وهي أن يجعل المتكلّم كلامه بحيث يمكن تغييره بتصحيف ونحوه، كما يحكى عن أبي نؤاس أنّه كتب على باب قصر هارون العباسي البيت التالي:

لقد ضاع شعري على بابكم ما ضاع عقد على خالصة

فلما أنكر عليه هارون ذلك، محى هلال العين، فصار البيت كالتالي:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عِقد على خالصه

ائتلاف اللّفظ مع اللّفظ

ائتلاف اللّفظ مع اللّفظ: وهو أن يؤتى في العبارة بألفاظ من واد واحد في الأنس والغرابة ونحوهما، نحو: (ما لكم تكاكأتم عليّ... افرنقعوا) جمع بين غريبين (تكاكأتم) و(افرنقعوا).

التسميط

التسميط: وهو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام، كقوله:

فنحن في جزل، والروم في وجل والبرّ في شغل، والبحر في خجل

الانسجام

الانسجام: ويسمّى (السهولة) أيضاً، وهو سلامة الألفاظ والمعاني مع جزالتهما وتناسبهما، كقوله تعالى: (كلٌّ في فلك يسبحون)(١٧) وكقوله:

ما وهب الله لامرئ هبة أفضلَ من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فإن فقدا ففقده للحياة أليق به

الاكتفاء

الاكتفاء: وهو أن يحذف بعض الكلام لدلاله العقل عليه، كقوله:

قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيراً معدماً قالت وإن

أي: وإن كان فقيراً معدماً.

التطريز

التطريز: وهو أن يكون صدر الكلام مشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجز صفة مكررة بلفظ واحد، كقوله:

وتسقيني وتشرب من رحيق خليق أن يُلقّب بالخلوق
كأن الكأس في يدها وفيها عقيق في عقيق في عقيق

خاتمة البديع

وهذا تمام الكتاب، والله الهادي إلى الصواب.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

تمّ بيد مؤلّفه:

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

٥ شعبان ١٣٧٩هـ كربلاء المقدّسة

١ ــ سورة الروم: ٥٥,

٢ ــ غافر: ٧٥,

٣ ــ الكافرون: ٢ ــ ٣,

٤ ــ سورة الأنعام: ,٢٦

٥ ــ الهمزة: ,١

٦ ــ بحار الأنوار: ١٦٣/٤٠ ب ٩٣ ح ,٥٤

٧ ــ الأنبياء: ,٣٣

٨ ــ المدثّر: ,٣

٩ ــ الواقعة: ٢٨ ــ ,٣٠

١٠ ــ النجم: ١ ــ ,٢

١١ ــ الحاقة: ٣٠ ــ ,٣٢

١٢ ــ الغاشية: ١٥ ــ ,١٦

١٣ ــ الانفطار: ١٣ ــ ,١٤

١٤ سورة الصافات: ١١٧ ــ ,١١٨

١٥ سورة الضحى: ٩ ــ ,١٠

١٦ سورة الأحزاب: ,٣٧

١٧ سورة الأنبياء: ٣٣.